وكان ذلك هو العزم والاجتهاد الذى اتخذته الحكومة الانكليزية حتى انها لا تقطع فى شكل كبيرة كانت او
صغيرة مع فليب الثانى واما الامة فانها عولت على التدريج على ابتنائها حق السفر والملاحة فى الطريق
الكبير المعد لكل الامم فوق البحر فكان وجود التجارة ومهما طلبت رغما عما قبله امم بحيث جزيرة اسبانيا
من انجاز القوى وتشددت فى تنفيذ مفعول اغراضها حتى انه من قبل سفر واسكو داجمه من لشبون الى
الهند بخمسة شهور استعد عدة سفن بمعرفة تجار الانكليز للسفر فى هذا الصدد واضاف الملك هنرى
السابع سفينتان الى هذه العمارة وعهد قيادة الكل الى الفينيسى المشهور جونى غوات المعروف باسم جوانى
كابوت خف ووصل كابوت فى سفرته الى درجة ٣٠ ٦٧ من درجات العرض الشمالى فثارت عليه بحريته
متورة فوق ظهر اسطوله فالتزم على الرجوع فى اتجاه جنوبى واخيرا وصل الى سواحل جزيرة نيوفاوند
لند (اى الارض الموجودة حديثا) وسواحل القارة الامريقانية واخذت معلومات ملاحى الانكليز فى زيادة
الاتساع وابتدأت مملكتهم فى القيام الى اول درجة بين الامم البحرية الموجودة فى ذلك العصر وقد فتحت
لهم طرق مرور جديدة نفسها بحيث يستحيل على الاشداء اعداهم اخراجهم منها وكان السبب فى ظهور هذا
الطريق الجديد ان القبودان فرنسيس دراك له الشرف (الاعظم) الاكبر فى فتح التجارة الانكليزية فى الشرق مع اضعاف
شوكة امم بحيث جزيرة اسبانيا كان اكتسب نفسه شهرة كبيرة الاسم فى المحيط الغربى وفى امريقيا فدفعته الحمية
والغيرة فى طلب البحث على الدخول فى البحر الاوقيانوس الجنوبى فاخذ فى سنة ١٥٧٧ سفرة على مصاريف
نفسه من الاموال التى كان حازها فى اسفاره الاولية وانشأ خمس سفن اكبرها لا تزيد حمولتها عن مائة
طولوناته واصغرها حمولة ١٢ طولوناته من حالة وصلب حالة وطقم نظيفا كاملا وشحنها بالامتعة
والبضائع الغالية الثمن من اصناف المشغولات الانكليزية وحتى اخذ معه طقم موسيقى واعد كل
شى يبهر به اعين وعقول اهل الاقاليم والجهات غير المعروفة المنظور لكشفها وزيارتها ويجذب
بهذه المشغولات والبضائع محبة قلوبهم واستغرابهم من الاشغال النفيسة الجارية فى انكلتره
حتى يكون لهم تعلق قلبى بربط علاقات تجارية معها وسافر دراك من مينة بليموت فى ١٣
ديسمبره سنة ١٥٧٧ وفى شهر اغسطوس من السنة التالية تم عبوره من بوغاز ماجلان
ثم طاف بضع شهور فى طول الساحل الغربى لامريقة الاسبانية وحاز فى مدة سفرته اموال
لها قيمة ولما استحوذ على هذه الثروة الكبيرة عزم على العود الى بلده ولو انه ما بقى معه من اسطوله
الا سفينة واحدة من المجرى الشمالى الغربى فاقلع بسفينة الى ساحل كاليفورنيا وادعى انه هو
الذى كشفها وسماها البيون الجديدة ولما راى ان الطريق الذى عزم على السفر منه لا يمكن المرور منه
عول على عبوره الاوقيانوس الجنوبى الباسيفيكى والتوجه الى اوروبا من طريق جزاير مولوقه
فسافر ودخل قاطعا الاوقيانوس وما وقف برهة من الزمن فى سيره حتى وجد نفسه بين
جزاير البهار (ملوقه) وكانت محصولاتها ونضيراتها الغالية فى ذلك الوقت مطلب الارباح
والفوايد فى الغرب فاستقبل ملك طرناط هذا الملاح الانكليزى بحسن النية وخلوص الطوية
وصدق الصحبة وكان هذا الملك فى ذلك الوقت فى حالة عدوانية كبيرة مع البرتغاليين فكان دراك
اول من حمل معه بحارة كبيرة من الهند واول من اوسع نطاقها فى انكلتره مع الهند من ابتداء هذا
الوقت ثم سار فى طول ساحل جزيرة جاوه وسلك فى مجراه الى راس رجاء الخير من دون ان يخفى
قطعة من قطع القارة الاسياوية واخذ ما طلبه من المونة والذخيرة من سياره ليوندة ووصل
مينة بليموت فى ٢٦ سبتمبره سنة ١٥٨٠ من بعد سفرة لبث فيها سنتان وعشرة شهور فاستقبل
اهل بلاده مع غاية الشوق والفرح وهنوه بما حصل له من النجاح فى اسفاره وكان سببا فى تشييد
الفخر الجلى لفن الملاحة فى انكلتره واسرع تجار لوندره فى تقديم رسوم الاحترامات اليه ونظر اليه اهل
بلاده بعين المحبة والاحترام الا ان ديوان الحكومة سكت وما سأل عن اعماله وغزواته فقدح مورخى
العصر وذموا فى حكومة الوقت بسبب سكوتها وانكارها فى عدم مكافأة هذا البحرى الناجح الذى
ادى لمملكته هذه الخدمات الجليلة وكانت البواعث السياسية التى قوت الملكة اليزابث ووزراها
على السكوت والصمت فى هذه المادة موافقة للعقل واصابة الراى لان افكار القبودان دراك فى
الاول وفى الاخر كانت مخصوصة بالاعمال التى تفترق بها الحكومات وتقطع عليها المكافئات وما كانت
سفنه مخصوصة باشغال الامة الواجب عليها ان تكافيه على ما اداه لها من الخدمات ولو ان الملكة
كانت محبوبة فى كافة ممالكها بتدبيرها واعمالها الا انها كانت ايضا على غاية من الحذر حتى لا ينظر
اليها احد بعين الازدرى فى شىء تجريه ليس من القوانين السياسية ومع هذا فانها غلبت على ما كانت
عليه من الاحتراز والفكر البعيد وزارته على ظهر سفينة واحسنت عليه برتبة الشفالية وهى اكبر رتبة

رتبة عالية فى الشرق كانت فى ذلك الوقت وكان نجاح وفلاح الاعمال التى اجراها فرنسيس دراك سببا
فى تشجيع اخرين من قواد السفن على السير على اثاره ومن هولاء توماس كوندش امير صاحب املاك
وعقارات واسعة فى نواحى سوفولك فانه من بعد ما تعلم علم البحرية تحت استاذية ريشار اغرانفيل
عزم على بيع املاكه وعقاراته وصرف اثمانها فى سياحة الى الاوقيانوس الجنوبى والالف والدوران
حول المعمورة وسافر من بليموت فى ٢١ يوليه سنة ١٥٨٦ فوصل فى ابتداء السنة التالية الى ساحل
الغربى من امريقة الجنوبية وحاز اموالا لها قيمة ومن هذا الساحل عبر الاوقيانوس الجنوبى ووصل
جزيرة جاقاقان احد مجمع الجزاير الذى سماه الاسبانيين باسم لادرون ثم مر من بين جزاير
فيلبين وشاهد سفنها وخصوبتها مع الاستغراب ودخل فى مخابرات مع الوطنيين واظهروا له رغبة
فاصلا فى ترجيحهم الانكليز عن الاسبانيين المحتلين هذه الجزاير ثم اقلع من بعد ذلك بين جزاير
وفى طول سواحل جزاير فلوريس وسمباوه وفتح مخابرة ودية مع واحد من ملوك جاوه ثم
سار على اثر دراك فوصل انكلتره فى شهر سبتمبره سنة ١٥٨٨ لعيد الميلاد من طريق راس رجاء الخير
ثم كانت البضايع التى جلبها فرنسيس دراك مع عمد عوده ومن سفرته سببا فى هياج كثرة الاستغراب
وادخال السرور على كل من تجار واهل لوندره وكان لحكاية جارية ومخاطراته فى اسفاره وقع فى القلوب
لانه فى اثناء ما كان فى جزيرة طرناط من جزاير البهارات (مولوقه) وجد ملكها مشغول فى حرب مع
ملك جزيرة طيدور بالقرب منها فكانت عدة القبودان الانكليزى لملك طرناط سببا فى انفصال
امر الحرب فشكره الملك على هذه الاعانة وقدم له كلما يمكن له حمله فى سفينة من القرنفل المعد
من مملكته على طرف الملك فشحن دراك شحنة غالية جاءت بفوايد ومكاسب جمة فى انكلتره خصوصا
الوقوف على معرفة الاحوال التى يتيسر بها الحصول على هذا الصنف ومن ثم ما اكتسب دراك الشهرة
الكبيرة فى انه اول ملاح دار ولف حول المعمورة واحسن على مملكته بنتيجة هذا الكشف فقط بل وفتح
طريق علاقات تجارية مباشرة بين انكلتره والشرق ومن تمام نجاح هذه السفرة ثبت وتاكد
بالفعل تمام وصول اى تجارة من طريق البحر مباشرة الى اى جهة من جهات الشرق الا انه يلزم لذلك
راس مال كبير لعدم دخول فى هذا الشغل الصعب على تاجر واحد يختص به فكان الراى فى تمام هذا
العمل استعدادات عمارات بحرية او اسفار سلاحية خطافة ولا يكون بواسطة تجار من رجال اهل هدو
وسلم يحبون نقل بضائعهم خلف البحور الشرقية فكانت نتيجة هذا الراى سببا فى تحقق هوس تجار الانكليز
والتجار فوقفت طمع ومع ذلك فان براعة الملاحة فى التجارة واسفار البحر ما زالت كانت فى حركة
هايجة شديدة وحصلت المداولة فى عدة ارا مختلفة واجرت مبانيه وسافر بعض الناس فى هذا
الصدد من طريق البر وشرع عدة من التجار فى فتح تجارة من طريق خليج فارس واتفقوا على ارسال
وكلاهم من طريق البحر الى سوريا ويتوجهون منه الى خليج فارس من طريق حلب وبغداد حتى يصلوا
الى جزيرة هرمز ومنها ينزلون فى الخليج الفارسى الى ساحل الملبار ونفقوا فى هذا العزم بحكايات
واقوال كانت وردت الى لوندره من شخص اسمه اصطفان وحصر الحكيم كوك طيلور فى قوله ان
القبودان اصطفان سافر من انكلتره الى الهند من طريق راس رجاء الخير وارسل تقريرا يتضمن مشروع
تجارى انكليزى وقال اخر حقوق كوك ان اصطفان سافر من انكلتره فى سفينة برتغالية الى جوواه
وانضم فيها الى طائفة الجزويت وكان من طلبة المدرسة الجديدة فى اوكسفورد ومن ضمن الذين احرزوا
العلوم فتمكنت الاحساسات الدينية فيه وطلب رؤية المحل المشهور الذى شيده الجزويت فى جوواه
فلما وصل كتب مكتوبا من جوواه الى انكلتره يصف فيه خصوبة الاقليم الواقعة فيه تلك المدينة و
ازدحام الاشغال التجارية فيها والحرية التامة الموجودة على مينتها البحرية لدخول مراكب وسفن كل
[illegible] فيها ووصف حالة سفره وقيل انه من قبل ارسال اخباره الى انكلتره تقابل مع واحد من وكلاء
شركة تجارية روسية كان من رسالة الى الهند وكان انكليزى المولد سافر فى نهر ولغا سبع مرات ومن
طريق بحر الخزر وفارس الى الهندوستان فاخبر اصطفان بما راه من ثروة الهند وغناها وكتاب
اشغال التجارة فيها وضم اصطفان على نشر هذه الاخبار فى بلاده بمجرد عوده اليها فقرا كل انسان
شرح كتابه واشتاقت الامة الانكليزية وهاجت فيها حرارة العزم فى اكتسابها قدم تجارة تحت ظل
رعاية الامبراطورات المغولية فى الهندوستان وابتدا ورود الاخبار الى لوندره من اخرين من
السياحين فتعين لرؤية هذه الجهات اربعة اشخاص يتوجهون وينظرون ما يعقدوا على نظره ورؤيته
واحد منهم اسمه اسطورى مكث راهبا بين البرتغاليين فى جوواه واخر اسمه نيوبرى [illegible]

Copyright © King Saud University